ISSN: 1812-0512 (Print) 2790-346X (online)

Wasit Journal For Human Sciences

Available online at: https://wjfh.uowasit.edu.iq

Ali Hasan Humeidi Al-Attabi

General Directorate of Wasit Education

*** Corresponding Author Email:**
aliss883411@gmail.comh

Keywords:
:. Maqamat, artistic prose, elements of Maqamat, the impact of Maqamat art.

Article history:
Received: 3 March, 2024
Accepted: 9 July, 2024
Available online: 30 Aug. 2024

CC BY

The Impact of Maqamat on Arabic and International Prose

A B S T R A C T

The Maqamat (literary assemblies) are considered among the most important literary arts that gained significant popularity in both ancient Arabic and global prose, as well as in modern storytelling and theater. In terms of language, their expressions contain an immense richness from the linguistic treasury, distinguished by the ease and clarity of the words. On one hand, this aspect indicates the fluency and clarity of the language, while on the other hand, it reflects the eloquence of the speaker. From a psychological perspective, the Maqamat played a crucial role because they signify the spirit of humor, amusement, satire, or mockery of the political, economic, and social situations of that time. This highlights the creative narrative brilliance through its linguistic craftsmanship, which stands out from other literary arts due to its skillful performance and vivid portrayal of events. The Maqamat were not solely aimed at advising and guiding; rather, their main purpose was satire and mockery.

DOI: https://doi.org/10.31185/wjfh.Vol20.Iss3.561

أثر المقامات في النثر العربي

م. م. الباحث علي حسن حميدي العتابي
المديرية العامة لتربية واسط

المستخلص:
تعدُّ المقامات من أهم الفنون الأدبية التي نالتْ حظوة كبيرة في النثرِ العربي قديمًا، وحديثًا على مستوى القصة، والمسرح؛ إذْ تحوي ألفاظها من حيث اللغة على كم هائل من الخزين اللغوي الذي يتميز بسهولة الألفاظ ووضوحها هذا من جانب، ومن جهةٍ أخرى تدل على فصاحة قائلها، أمّا الجانب النفسي، فكانت له الدور الأهم؛ لأنها تدل على روح الدعابة والمرح أو على السخرية والتهكم على الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية آنذاك، وهذا يظهر إبداع جودة السرد من خلال صناعتها اللغوية التي تميزت عن بقية الفنون الأدبية بوساطة البراعة في الأداء، وتصوير الأحداث، فلم تكن غايتها النصح والإرشاد فحسب، وإنما غايتها السخرية والتهكم.

الكلمات المفتاحية:
المقامات، النثر الفني، عناصر المقامات، أثر فن المقامات

المقدمة:

تعدّ المقامات من أهم التطورات التي حدثت في القرن الرابع الهجري؛ لأنه فن جديد دخل إلى الساحة الأدبية، فكان له الحضور الكبير في النثر الفني العربي القديم، وهذا يدل على أن فن المقامات فن عربي أصيل على الرغم من الجدل الذي دار بين الدارسين حول نشأة المقامات بكونها فن غير عربي، وهذا الموضوع سوف نبينه فيما بعد، أما أهم السمات التي كانت تتبناها المقامات هي النقد والسخرية للأوضاع العامة في المجتمع الإسلامي بأسلوب قصصي لا يخلو من الزخارف اللفظية، "جاءت رَدَّ فِعْلٍ على تردي الأوضاع السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية في المجتمع"(مطر، ٢٠٢٣: ١٣)؛ كاستعمال الفنون البلاغية من سجع وجناس وطباق ومقابلة، لإحداث إيقاع لفظي متناغم يشد المتلقي عبر حروفه المتجانسة، ويجب أيضاً أن لا ننسى الكم الهائل من الصور الفنية التي تقدم عن طريق التشبيهات والاستعارات والكنايات التي لها الدور الفاعل في إبداع تلك المقامات.

المَقامات، النّشأة، والتطور

تعريف المَقامات: وهي أسلوب حكائي يعرفها (القلقشندي) بأنها: "جمع مَقامة بفتح الميم، وهي في أصل اللغة اسم للمجلس، والجماعة من الناس، وسمّيت الأحدوثة من الكلام مَقَامة كأنها تُذكر في مجلس واحدٍ يجتمع فيه الجماعة من النّاس لسماعها"(القلقشندي، ج١٤، ١٩١٩: ١١٠). وهذا التعريف هو الأقرب لفن المَقامات من حيث التكوين الأدبي.

نشأة وتطور المَقامات: يجب علينا أن نفرق بين المَقامات الفنية أو البديعية وبين المَقامات الأخرى التي ذكرها ابن قتيبة وهي مقَامات الزهاد في كتابه عيون الأخبار، "وهي مواعظ يقف بها الراوي أمام الخليفة لنصحه وارشاده، من أشهرها مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي ومقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور. ونلاحظ أن صفة الوعظ التي سادت في مَقامات الوعاظ تلك غلبت على مفهوم المقامة حتى ظن الكثيرون أن المقامة أساسها الوعظ وذلك خطأ لأن الوعظ في المقامات البديعية غرض من أغراض مختلفة"(عوض، ١٩٧٩م:٧)، إذن المقامات متعددة الأغراض، "وهناك مقامات أخرى كانت رحاها تدور في داخل المساجد واشتملت على الوان من القصص والاساطير وفنون الحرب والثقافة العامة إلى جانب الغاية الوعظية" (المصدر نفسه:٧)، أما المَقامات التي سوف نتحدث عنها هي المَقامات الفنية التي أبتدعها (الهمذاني ٣٥٨-٣٩٨هـ) بوصفها ظاهرة أدبية جديدة في أواخر القرن الرابع الهجري، وسماها الهمذاني بالمَقامات، "واعلم أن أول من فتح باب عمل المقامات، علامةُ الدهر، وإمام الأدب، البديعُ الهمذانيُّ: فعمل مقامته المشهورة المنسوبة إليه، وهي في غايةٍ من البلاغة، وعُلوِّ الرتبة في الصنعةِ، ثم تلاه الإمام أبو القاسمُ الحريريُّ، فعمل مقامته الخمسين المشهورة، فجاءت نهايةً في الحُسْن، وأتت على الجزء الوافرِ من الحظ، وأقبل عليها الخاصُّ والعامّ"(القلقشندي، ج١٤، ١٩١٩ :١١٠)، ويوكد هذا الرأي الدكتور زكي مبارك فيقول: عنها، "وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية، أو فلسفية، أو خطرة وجدانية، أو لمحة من لمحات الدعابة والمجون، وكان المعروف أن بديع الزمان الهمذاني هو أول من أنشأ فن المَقامات، ولم أجد فيمن عرفت من رجال النقد من ارتاب في سبق بديع الزمان إلى هذا الفن"(مبارك، ٢٠١٠: ١٨٥)، وهذا تأكيد مهم في نشأة المَقامات الفنية التي استطاعت أن تلج إلى مجتمعات الناس، مما تجعلنا أن نطلع على تلك الحياة الاجتماعية، ونعايشهم معايشة حقيقية، أينما كانوا، والمَقامات تجعلنا نشاهد الناس في دورهم وأنديتهم، مثل الأسواق والمساجد والحانات والقصور، وأندية الأدباء، وحتى مجالس القضاء؛ فكانت تلك المَقامات هي تصوير واضح لهموم الطبقات (الاجتماعية، والفكرية، والمعاشية)، حيث تعرض لنا مظاهر حضارتهم عن طريق حكاياتها التي تكون ضرباً من الفكاهة واللعب، أو في السخرية

والتهكم لوصف اللصوص والشحاذين والنخاسين وغيرهم، فكانت المَقامات الصورة الحقيقية التي صورت الواقع المعاش في تلك الحقبة الزمنية الا وهي القرن الرابع الهجري الذي يعد التأريخ الحقيقي للمَقامات الفنية(ينظر: عباس، أ). حيث عدّت من أهم فنون النثر العربي، "وخاصة من حيث الغاية التي ارتبطت به، وهي غاية التعليم وتلقين الناشئة صيغ التعبير، وهي صيغ حُليت بألوان البديع، وزُينت بزخارف السجع، وعُنى أشدَّ العناية بنسبها ومعادلاتها اللفظية، وأبعادها ومقابلاتها الصوتية. وبديع الزمان هو الذي مهَّد الطريق وعبَّده لظهور هذا الفن، وخلفه الحريريّ، فتبين المعالم والصُّوى بأوضح مما تبينها سلفه، إذ كان أوسع ثقافة، وأحكم صياغة، وأقوى تعبيراً، فإذا هو يصل بالفن إلى القمة التي كانت تنتظره"(ضيف، ١٩٥٤: ٥)؛ فيقول: (د. شوقي ضيف على مَقامة) (الهمذاني)، "وإذا مقامته تصبح المعجزة الخارقة التي لا تُسبق ولا تُلحقُ على مر العصور. وعكف عليها الطلاب والأدباء في جميع الأقاليم العربية يتدارسونها ويحفظونها ويُرتلونها على نحو ما تُرتلُ الأناشيد الدينية"(المصدر نفسه: ٥)؛ إذْ نرى بأن المقامة فن جديد دخل إلى الساحة الأدبية فغير مفاهيم كثيرة في الأدب العربي هذا من جانب، ومن جهة أخرى أصبحت المقامة المتنفس الجديد الذي يعبر عن آراء الطبقة الكادحة بصورة غير مباشرة في نبذ الأوضاع السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وبهذا نؤيد رأي د. شوقي ضيف، ومهما اختلفت الآراء حول النشأة الأولى لفن المَقامات فيبقى بديع الزمان الهمذاني هو أول من أطلق هذه التسمية، وأبدع فيها؛ لأن الفرادة في النوع هو المعيار الأساس للفنون الأدبية، وكان بديع الزمان متفرد في ذلك النوع، ثم تلاه في ذلك أبو القاسم (الحريريُّ) (٥١٦هـ)، "ومن هنا بدأ الدارسون البحث عن أصولٍ محتملة، قد يكون البديع تأثر بها في صنع مقاماته"(جبريل، ٢٠٠٣: ٢٣).

<u>عناصر المَقامات:</u> كانت المَقامات تحمل نوعًا فنيًا فريدًا من نوعه فهي تتسم بطابع الفن مع السخرية، أو الفن مع التهكم اللاذع، أو سمةٍ فنية فكاهية، فتتكون المَقامة من المجلس التي تدور فيه المَقامة، والرواية؛ لأن لكل مجموعة من المقامات راوية واحد، الشخصيات الرئيسة هما: البطل والراوي، حيث نجد عند بديع الزمان الهمذاني (عيسى بن هشام) هو الراوي وبطل المَقامة هو أبو الفتح الإسكندري، بينما عند الحريري؛ فالراوي في مقامات الحريري هو الحارث بن همّام، والبطل في تلك المقامات هو أبو زيد السّروجيّ، ومعظم المَقامات تبدأ بـ(حدثني فلان)، ويقوم السارد في كلامه عن البطل صاحب اللغة السليمة والفصيحة، والذي له تجارب في الحياة عبر حنكة، يفتن بها المتلقي، وأيضاً يحمل في طيات شخصيته المكر والخداع، والذي لا ينكشف إلا في نهاية المقامة. فالمَقامة تتكون من بداية ونهاية(محي الدين: ١٩٢٣م: ٨).

تطور فن المَقامات: لم يكن فن المَقامة ذا مجال يُذكر في الساحة الأدبية في العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والقرن الأول والثاني والثالث الهجري، وإنما ذاع صيته في نهاية القرن الرابع الهجري كما ذكرنا سابقاً، وكان الفضل الأول للهمذاني، وجاء بعده أبو محمد القاسم بن علي (الحريريُّ) "إذ روى عن بعض أساتذته أن الذي أشار إليه الحريريّ في مقدمته هم الخليفة المستظهر (٤٨٧-٥١٢هـ) وكان له حظ من الأدب وعناية بأهل العلم، ويقال إنه أثبت في الديوان منهم أسماء ألف وخمسمائة شخص، وأجرى عليهم الأموال والأرزاق. فقصده الحريريّ، ومازال يبعثه على صنع المقامات، حتى أتمَّها ورفعها إليه، فبلغ عنده أسنى المراتب، ويظهر أنه ظل بالقرب منه في بغداد حتى تُوُفّيَ"(ضيف، ١٩٥٤: ٤٥). سار الحريريّ على المنوال الذي سار عليه الهمذاني، ولكنه طور في تلك المَقامات، "ومن المعروف، أن مقامات الحريري أكثر إيغالا في التسجيع والتعقيد وتصعيب الأداء، فقد حفلت مقاماته بالكنايات التي جعلت جانبا كبيرا منها أشبه بالألغاز، وحفلت بالأحاجي النحوية، والمسائل الفقهية، والفتاوى اللغوية من ذكر بعض الاشتقاقات والأبنية اللغوية الغريبة وما إلى ذلك، كما حفلت بالغريب من الألفاظ"(أشهبون٢٠١٣: ١٠٧)، فعدَّ الحريري "في الأدب العربي بطلاً، أي شخصية أنجزت مأثُرَة تسمو بها على عامة البشر وتجعل منها موضوع خطاب إعجاب. أنه خطاب مسهبٌ، متعدَّد الأشكال، يكون أحد مظاهر سرد المنجزات التي حَولت شخصاً يسمى القاسم بن علي بن محمد إلى كائن صقيل وبراق وناعم، باختصار إلى الحريري. أيُّ سِحر ساق هذا التحول؟... إنه تحول كتحولات الكيمياء، استخراج الذهب النَّاري والنير من المعدن الدَّنيء الكامد. الذهب، لأنه عنصر لا يفسد ولا يتغير"(كيليطو ٢٠٠١: ١٤٤-١٤٦)، ويقول الزمخشري:

"في تقريظه للحريريّ: أقسم بالله وآياته.....ومعشر الحج وميقاته

أن الحريري حَريٌّ بأن.....تُكتب بالتبر مقاماته"(الزمخشري:٢٠٠٤: ٥٨٧)،

من هذا القول نجد الحريريّ قد ساهم في اكتمال البنية الداخلية للمَقامات، وهذا لا يمكن أن يعدّ تصنعاً فيه، ومباشرة إلى غلبة الشكل على المضمون هذا من ناحية، والأمر الأخر مرتبط أشد الارتباط بالناحية الثقافية لذلك العصر الذي لم تعدّ تشغله المادة الحكائية فقط، وإنما الشاغل الأكبر هو التفنن في وسيلة تبليغ تلك الحكايات التي تحمل في طياتها أكثر من رسالة، فكانت للمقامة أكثر من مهمة، وهذه المحمولات الدلالية هي رسائل للمتلقي الذي كان شديد التواصل معها، فكان للحريري وعي حاد يحفزه، فكانت القضية لها مقصدية كبيرة، وهذه المغالاة في المحسنات البديعية، والتصنع والتكلف اللغوي، وكذلك أشكال التزويق والتنميق، وكل ذلك لم يأتِ من رحم العفوية التلقائية، وإنما كان انعكاسا مقصودًا ومتعمدًا من قبل الحريريّ، ولا سيما استجابة لتطلعات المتلقي،

وأفق انتظاره، فكان للحريريّ (مَقامته المغربية) التي يمكن أن تقرأ بعض مقاطعها من اليمين إلى اليسار والعكس من ذلك، فكان للحريريّ الدور الكبير في تطوير مَقامات بديع الزمان الهمذاني(ينظر: أشبهون، ٢٠١٣م: ١٠٨).

هذا ما أكده الدكتور زكي مبارك فيقول: "ثم جاء الحريري فصير فن المقامات شريعة أدبية، وقد انتشرت مقاماته في جميع الأقطار العربية، وصارت مضرب الأمثال والفصاحة والبيان، ويعد الحريري أشهر من نظم المقامات وإليه يرجع الفضل في ذيع هذا الفن الجميل"(مبارك، ٢٠١٠: ١٨٩)؛ إذْ نرى بأن للهمذاني والحريري الفضل الكبير في شيوع مثل هذا الفن النثري الأدبي، وهذا خير دليل على ازدهار الثقافة والأدب في العصر العباسي، لما تحويه من أساليب بلاغية تشد السامع وتجعله يغوص في أعماق الحكاية هذا من جانب، ومن جهة أخرى نرى أن تلاقح الثقافات هي التي أنتجت تلك المقامات؛ إذْ جعلتها في المصافي الأولى للنثر العربي.

<u>أثر فن المقامات في النثر الفني العربي:</u> أدى ظهور المقامات في الأدب العربي إلى نقلة نوعية في النثر العربي، لأنها أضافت فناً أدبياً جديداً، ويعود إلى غناه بالألفاظ والأساليب والأخيلة، وكذلك المعاني والقصص والحكايات، وأن الهدف من هذا الموضوع هو معرفة مدى تأثير المَقامات على النثر العربي والعالمي. وكيفية انتشاره شرقاً وغرباً.

<u>أثر المَقامات في النثر المشرقي:</u> (نحاول الوقوف على أهم المؤثرات الفنية والجمالية والأدبية للمَقامات في نثرنا المشرقي) "لتدل على فن أدبي خاص، غدا مع مرِّ الزمان من الفنون الأدبية العربية المائزة، بل كان له أثر هام على تطور أدبنا العربي حتى اليوم. هكذا قدمت لنا المقامة نوعاً أدبياً آخر، له كتابه المرموقون وجمهوره الواسع، بما تضمنه هذا الفن من إمكانيات بنيوية (لغوية وبلاغية وأسلوبية وسردية) غنية وزاخرة، يمكن الإفادة منها والاستمتاع بها في الآن عينه. كما نقرأ في هذه المقامات، بشكل موسع ودقيق شيئاً ما، كل المشاكل العقلية والخلقية والوجدانية والاجتماعية لمرحلة من مراحل تاريخنا العربي"(أشبهون، ٢٠١٣: ١٧). فكان للمَقامات الحضور الفاعل والمدوي في الأدب المشرقي، ولا سيما في الجانب اللغوي "كان شغلهم الشاغل هو التباهي بإفراغ صهاريج اللؤلؤ البديعي في المقامة من جهة، والتفاخر باطلاعهم الغزير على غريب اللغة من جهة أخرى، إلى درجة غدت معه هذه المقامات عبارة عن تمرينات بلاغية في أسلوب السجع والطباق والتورية"(المصدر نفسه: ١٩)، وهذه نقلة نوعية في الثقافة اللغوية (ثروة لغوية زاخرة)، والتي يعود فضلها إلى فن المَقامات، ويمكن أن نصنف المَقامات في صنفين مهمين هما : نثر أدبي، ونثر تعليمي، وهذا ما أكدته الدراسات، ومن هنا فُتحَ باب التأثير والتأثر الذي كان له الدور الرئيس في تطور تلك المَقامات، ودخولها إلى الساحة الأدبية، ومن هنا كانت المقامات ينبوع لا

ينضب في ثرائها اللغوي والمعرفي التي تدل على غزارته الألفاظ، وأيضاً توظيف الكلمات في مكانها المناسب(ينظر: محمود، ٢٠٠٦: ٥٩-٦٠). أما الجانب الأسلوبي لتلك المَقامات فكان يسير بحركة "وجريان الكلام على وتيرة واحدة، وفي أشكال متجانسة، تجعل القارئ يركن إلى الطمأنينة إذ لم يعد في الأفق أي مفاجآت، وما إن يفعل ذلك حتى يطلعه الكلام على وتيرة جديدة وأسلوب لم يتعوده. ولعل أبرز هذا التحول هو عدم التزام النص بالبنى الملزمة التي وردت... وقد تخرج بعض المقامات من الموضوع المقرر لها وهو الكدية، إلى موضوع آخر... على اعتبار أن المقامات تمثل عصرها الذي ذاعت فيه الأنماط الأسلوبية المختلفة"(جبريل، ٢٠٠٣: ١٣٤-١٣٥)، وهذا كان التأثير الثاني في النثر المشرقي. أما التأثير الأخر وهو في الجانب الفني للمَقامات، فكانت زاخرة بالصور والأخيلة، حيث يمكن اعتبار هذه الخبرة الفنية الجمالية المعاصرة تدين بأصولها الإبداعي وثقافتها إلى فن المقامات الذي تعود جذوره للقرن الرابع الهجري، "وهذا ما يفرض علينا ضرورة إيلاء الأهمية للقيمة الفنية والجمالية لهذه النصوص المحيطة، لما تحوزه من دلالات تخص اقتصاد الكتاب وتلقيه على حد سواء، وهنا نؤكد أن الدرس النقدي المعاصر أصبح يشدد على أن لكل مكون نصي دلالة ما، وقيمة محددة، ووظيفة بنائية دقيقة في نسيج النص الأدبي ككل، يؤديها وفق مبدأ صريح وضمني، مساهماً بذلك في خلق تناغم، وترابط، وتكامل بين كل مكونات النص الأدبي"(أشبهون، ٢٠١٣: ٣٤). فنجد دائماً إن هناك تناظرًا في فن المقامات بين البنية الجمالية والبنية الاجتماعية واللغوية والأسلوبية، بين شكلية المقامات الظاهرية، وبين البنية الموضوعية العميقة التي تحمل مجموعة من الرسائل، وبين سياقية الجدل الروائي للمقامات، وسياقية الجدل الاجتماعي، مما يجعل فن المَقامات محاكاة وتصويرًا للواقع المعيش بخيال وإبداع خصب (تقار، ٢٠٠٩-٢٠١٠م: ١٣). وعلى ضوء التأثيرات التي حصلت في النثر المشرقي على يد بديع الزمان، والقاسم بن علي الحريري "لا لتعليم الناشئة أساليب البلاغة اللغوية فحسب، بل ليبدعوا فنّاً قصصيّاً مشوقا وأخاذاً، بكل ما يتضمنه فعل القص من سرد وحوار، ووصف، وحبكة...إلخ. فعندما يكتب المقامي مقامته، لا يفكر في مركزية المستوى اللغوي والصنعة اللفظية وفنون القول فقط، بل داخل هذه المقامة، مواد حكائية لا تقل أهمية أو قيمة من المخزون اللغوي الصرف"(أشبهون، ٢٠١٣: ٢٩-٣٠). ونحن نرى بأنّ للمَقامات الدور الفاعل في تأثيرها على الأدب المشرقي حديثًا خصوصًا في فن القصة بصورة كبيرة كانت، وكذلك المسرح الغنائي الذي جسد تلك الصورة الرائعة لفن المقامة التي اختفت تقريبًا معظم ملامحها في عصرنا هذا، وكل ذلك يجعلنا فخورين كل الفخر في فن المَقامات الذي يبقى دائماً ضمن الموروث الثقافي للأمة الإسلامية جمعاء.

أثر المَقامات في نثر المغرب والأندلس: كانت بيئة المغرب بيئة مناسبة لفن المقامات، لأن "البيئة تحدث اثراً فعالا في الفنان بتشكيلها للظروف التي يلتقط منها نماذجه الفنية. ولكن البيئة لا تتحكم تحكماً كاملا في تشكيل النماذج الفنية إذ لابد للفنان من أن يلعب دوره الايجابي في تكثيف تلك النماذج، ذلك أن أي تجربة فنية لا بد وأن تمر بنفس الانسان ومشاعره الداخلية اولا قبل أن تخرج إلى الواقع المادي...حتى يوجد العلاقة الموضوعية التي تربط بينه وبين البيئة التي عاش أو يعيش فيها. ونحن مع عدم انكارنا لحقيقة أن الفن العظيم يتجاوز ظروف ابداعه الحقيقية ويظل محتفظاً بقيمته الفنية خارج تلك الظروف"(عوض، ١٩٧٩: ٣٥)، وهذا هو الأثر الفني لتلك المقامات حيث انتقلت من المشرق إلى المغرب وتخطت صور الإبداع حدودها الجغرافية متخذين الأدب المشرقي قبلتهم، ومثلهم الأعلى الذين يحتذون به، فكان الأدب المشرقي مصدرهم الذي لا ينضب من الفنون الأدبية الجديدة والقديمة منها، فن المقامات خير دليل على ذلك، و "إن هذه المقامات تختلف في طريقة بنائها عن المقامات المغربية التي وصلت الينا، فمعظم المقامات المغربية لم تحافظ على الشكل الدرامي الذي وضعه بديع الزمان ولم تلتزم شخصية البطل والرواية وكانت مجرد أحاديث أو مقالات أدبية في النقد أو الوصف أو في المشاهدات والكاتب الوحيد الذي التزم بالشكل البديعي هو السرقسطي وقد اعترف اعترافا صريحا بانه قلد أسلوب الحريري ولم يكن تقليد المشارقة بالمستغرب في ذلك الوقت"(المصدر نفسه، ١٩٧٩: ١٥٩)، وهذا دليل واضح على اطلاع الكتاب المغاربة على المقامات المشرقية وتأثرهم بها، ولكن البدايات الأولى للمقامات المغربية لم تكن بالمستوى الفني الذي يقابل المقامات المشرقية، وكان ذلك في بداية العصر العلوي، ويوعز سبب ذلك لعدم قراءة المقامات بالشكل المطلوب، وقلة عدد المقامات التي وصلت للمغرب الإسلامي، وكذلك ضعف الحركة النقدية في ذلك العصر "فلم يكن من الجائز أن تغفل عيونهم ذلك الفن المقامي الذي ملأ الحياة الأدبية في المشرق منذ عهد بديع الزمان؛ فمنذ القرن الخامس بدأت طلائع المقامة تظهر في بلاد المغرب ... ولكن المقامة في بلاد المغرب لم تكن في هذه المرة صورة طبق الأصل للمقامات المشرقية...غير أن ما يميز المقامات المشرقية على المقامات المغربية أنها عرضت هذه المواضيع – في معظم حالاتها – في اطار الديباجة المقامية المعروفة الا في حالات قليلة كما ظهر في مقامات السيوطي والزمخشري"(عوض، ١٩٧٩: ٢٦٩-٢٧٠)، وعلى الرغم من ظهور المقامات المغربية على يد بن شرف في القرن الخامس الهجري، والذي كتب على غرار الهمذاني، وكان منهج التقليد واضحاً في مقاماته إلا أنه قدم منهجاً متكاملًا لكاتب مقامي، ووصلت لنا منه مقامتان فقط كانت الأولى ذات طابع نقدي أدبي في وصف مجموعة من شعراء الجاهلية، والثانية تعبر عن موقف طريف، فكانت هذه نبذة عن أثر المقامات في نثر المغرب؛ بينما وجدت مقامات

بديع الزمان الهمذاني طريقها إلى الأندلس، فتأثر أهل الأندلس بتلك المقامات، ولا سيما أن أول من تأثر بتلك المقامات هو ابن شهيد، الذي أنتج لنا رسالته التوابع والزوابع، وكان ذلك التأثر واضح جداً حين نقرأ المقامة الإبليسية، والتي استعمل فكرة بديع الزمان إلا وهي الفكرة القديمة عند العرب، والتي تتحدث عن شياطين الشعر والشعراء، ولم تكن هذه المسألة الأولى التي تأثر بها ابن شهيد في صنع مادة بل أخذ من المقامة المضيرية بقطعة بليغة، مما جعل ابن شهيد يقوم بتطوير تلك الفكرة عبر خيال خصب فأضاف لها ما تجعلها تخدم أغراضه الخاصة في كتابة قصته الشهيرة، ولم تكن هذه أخر الغيث، وإنما استعان بعدد كبير من مقامات البديع(ينظر: عباس، ٩٣-٩٤). لم يكن ذلك تأثر فقط، وإنما هو انتحال للأفكار والمعطيات، وهذا مأخذ كبير على ابن شهيد الأندلسي. "أما أشهر المقامين في القرن السادس فهو السرقسطي الذي كتب خمسين مقامة أنشأها بقرطبة على غرار المقامات الحريرية وقد التزم فيها ما لا يلزم وما يؤخذ على هذه المقامات هو تقليدها للمقامات المشرقية بحيث لم تقدم لنا صورا من الحياة الأندلسية. ومن مقاميي هذا القرن أيضاً أبو عبد الله محمد بن محرز الوهراني وله ثلاث مقامات الأولى والثالثة في غرض التعليم واما الثانية فذات هدف اخلاقي وهذه المقامة تنفر من التكلف والصنعة اللفظية وتلك ظاهرة واضحة في كثير من المقامات الاندلسية التي جنحت إلى تسهيل الوعورة التي اتسمت بها مقامات المشرق"(عوض، ١٩٧٩: ٢٧١)، وهناك الكثير من الكتاب في الأندلس الذين لم ولن يستطيعوا أن يصلوا إلى ما وصل إليه أهل المشرق في فن المقامات، ونستنتج من هذه المعطيات، "وعلى وجه العموم نستطيع ان نوجز القول بان الاندلس لم تقدم لنا مقاميا على غرار الحريري أو بديع الزمان ذي طبيعة منفردة فمعظم الذي كتبوا في هذا الفن تناولوه في مقامة أو مقامتين أشبه بالأحاديث الوصفية أو المشاهدات العابرة في أدب الرحلات وقد كانت الفرصة سانحة امام السرقسطي الذي اثبت مقدرة في كتابة هذا الفن غير أن التقليد والتكلف ابعداه عن كتابة عمل أصيل، ومع ذلك فربما ضاع كثير من هذا الفن في الأندلس أو تلف ولم يصل الينا غير أننا لا نتوقع أن يكون ما ضاع أو تلف مختلفا كثيرا عما وصل الينا"(عوض: ١٩٧٩: ٢٧٣). ونحن نرى بأن تأثير فن المقامات المشرقية واضحة المعالم على أهل الأندلس، ولا شك في أن هذه التجارب المقامية كانت مأخوذة من عمل البديع والحريري، وهذا دليل قاطع يحسب للنثر المشرقي ويجعله في أرقى مصافي الفنون الأدبية.

<u>أثر المَقامات العربية في النثر العالمي</u>: نلحظ الأثر الواضح للمقامات في الأدب العالمي، من خلال تأثره بفن المقامات، وخاصة الأدب العبري، والأدب الفارسي، والأدب الإسباني، وكذلك الفرنسي والألماني، والإيطالي، والإنجليزي، معتمدين في ذلك على اهتمام تلك الآداب بفن

المقامات، من خلال ترجمتها إلى لغات عدّة، وهذه الترجمة هي موضع اهتمام حقيقي يوجز لنا مدى هذا التأثر. "كان العصر العباسي هو عصر الاحتكاك الكبير بين الثقافة الفارسية والثقافة العربية؛ ولا ريب أن مجال الدراسة واسع في تحقيق مدى أثر الثقافتين في بعضهما البعض وفي رأينا أن الوقوف عند الزعم القائل بأن الفرس هم الذين كانت لهم اليد العليا في كل الظروف يحجب الحقيقة ويضيع جهود الكثيرين من العرب الذين استوطنوا بلاد فارس منذ زمن بعيد وأثروا في ثقافتها ودون أن يحقق أحد اصولهم الأولى؛ ولعل روح التأثير المتبادل يعكسها القاضي حميد الدين البلخي"(المصدر نفسه،١٩٧٩: ٣١٧). فيقول: في ذلك لقد "تسرب فن المقامة في الأدب الفارسي من القرن السادس للهجرة. أول من اهتم بإنشاء المقامة، هو القاضي حميد الدين أبو بكر بن عمر البلخي قاضي القضاة في مدينة بلخ (ت٥٥٩هـ). استعمل البيهقي لفظ المقامة لأول مرة في كتابه (تاريخ البيهقي) حيث يقول: المقامة في معنى ولاية العهد بالأمير شهاب الدولة مسعود وما جرى من أحواله...بدأ القاضي حميد الدين، أنشاء المقامات باللغة الفارسية سنة (٥٥١هـ) على نسق بديع الزمان الهمذاني والحريري كما يعترف في مقدمة مقاماته ويصرح بصراحة بأن قلدهما في سياقهما"(زادة، ٢٠٠٦: ٢٥)، كما يذكر "عن أثر مقامات حميدي في الأدب الفارسي...أسلوب المقامة المتكلف يحتاج إلى ذوق وذكاء خارقين ومن مقوماته أيضا التبحر في علوم اللغة والبلاغة؛ ويرى أن المجال أمام كاتب المقامات العربية كان أوسع مما هو عليه الحال أما كاتب المقامات الفارسية ذلك أن اللغة العربية تشمل على مرادفات كثيرة ومن السهل على الكاتب وزن واشتقاق الكلمات على نحو لا يتوافر للكاتب بالفارسية"(عوض، ١٩٧٩: ٣٢١). أما الأثر كان في الآداب الغربية والأوربية كان واضحًا بوساطة اتصالهم بالشرق، وكذلك عن طريق الحروب الصليبية التي دارت بينهما، أو عن طريق العرب في الأندلس، وقد استمر هذا التأثير في الآداب الأوربية طوال العصور الوسطى، وإلى يومنا هذا، ونلحظ هذا التأثير في قصص الفروسية والحب، ويعود سبب ذلك لتوافر الصلات بين الأدب الأندلسي منذ الفتوحات الإسلامية، وبين الأدب الإسباني والثقافة الأوربية، وأول قصة في الأدب الإسباني هي قصص الشطار التي كانت بينها وبين المقامات العربية الشبه القوي والكبير مع مقامات الهمذاني والحريري، وهي قصة تتبع من واقع الحياة، وتمثل الطبقات المجتمعية الدنيا، وهذا وصف يمليها علينا طابع الغريزة الصريح، وكانت هذه القصة تختلف جذرياً، لأنها تصف مجتمعياً لا أمل فيه، وهذه القصة ذات طابع هجائي متهكم بالمجتمع ومن فيه، وأيضاً من الذين تأثروا بفن المقامات هم الفرنسيون، فكانت لقصة الشطار الدور الفاعل في ذلك، لأنها نشرت في باريس بتاريخ ١٦٢٢م، والتي كان مضمونها هجاء العادات والتقاليد

بواسطة مجموعة من المتسولين(ينظر: هلال، ٢٠٠٨: ١٦٨-١٧٥)، لنبذ الحالة الاقتصادية والسياسية آنذاك.

الخاتمة:

كان أثر فن المقامة على النثر العربي يدور في شقين هما: التأثير الذي حصل على فن القصة وتطورها من حيث الشكل الحواري الذي أثرى فن القصة عن طريق البطل، والراوي، والتأثير الآخر على المسرح (الغنائي) الذي تطور بمرور الوقت حتى أستقر على مراحلهِ النهائية في وقتنا الحاضر، فبقي فن المقامة فنًا رمزيًّا، أو موروثًا شعبيًا ذا استمرارية طفيفة في عصرنا الحديث على الرغم من التطور الحاصل في الفنون الغنائية، والشعرية على حدٍ سواء، وكل ذلك رأيناه عبر تتبعنا لفن المقامة بوساطة تلك العصور التي مرتْ بها المقامة؛ فكانت المقامة قد ازدهرت في عصور، واختفت في عصور أخرى، وهذا دليل واضح على سموه هذا الفن الذي يلقى ترحيبًا بين عامة الناس خاصةً في العصر العباسي هذا من جانب، ومن جانب آخر اختفاء الأشكال المقامية في العصر الحديث تبعًا للتطورات التي حصلت في الاتجاه الكلاسيكي وهذا جدًا طبيعي؛ لأن فن المقامة هو من الآداب النثرية التي تحتمل الازدهار والاندثار مثل بقية الفنون الأدبية، وهذا وارد، ففي الوقت الحديث تغيرت المفاهيم وتطورت الفنون، وهذا يعود إلى إننا نعيش في زمن التخصص، والصحافة، والقصة، والمقالة...إلخ من التطورات الأخرى التي ساهمت بشكل فاعل في تطور النثر العربي والعالمي، وذوبان الفواصل الجغرافية بين الآداب والعلوم الأخرى.

المصادر والمراجع:

- الأدب المقارن، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٨م.
- تطريز الحكاية في المقامات، بحث في البنيات السردية، د. عبد الملك أشبهون، مكتبة الأدب المغربي، نادي تراث الإمارات، ط١، ٢٠١٣م.
- ديوان الزمخشري، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- فن المقامات بين المشرق والمغرب، د. يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٩م.
- فنون الأدب العربي الفن القصصي، المقامة، شوقي ضيف وآخرون، دار المعارف، مصر، ط٣، ١٩٥٤م.
- كتاب صبح الأعشى: الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي، ج١٤، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٨هـ-١٩١٩م.
- مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، شرحها ووقف على طبعها محمد محي الدين، عني بنشرها محمد سعيد الرافع، المكتبة الأزهرية، مصر، د. ط، ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م.
- المقامات السرد والأنساق الثقافية، عبد الفتاح كيليطو، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، ط٢، ٢٠٠١م.
- النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي مبارك، ضبط وتقديم، عثمان غزال، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- نشأة المقامات في الأدب العربي، د. حسين عباس، دار المعارف، د ط، د ت.

الرسائل والأطاريح:

- البنى الفنية في رواية مقامات الذاكرة المنسية لحبيب مونسي مقاربة بنيوية تكوينية، فوزية تقار، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.
- البواعث الذاتية العدمية في الشعر العراقي المعاصر، م. م زينب دايخ مطر، أ. د جاسم حسين سلطان، جامعة واسط، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، مجلة واسط للعلوم الإنسانية والاجتماعية، م١٩، ع٥٥، ٢٠٢٣م.
- دراسات في مقامات البديع، رؤية نقدية، أحلام حلمي جبريل، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات، ٢٠٠٣م.

- مقامات بديع الزمان الهمذاني بين الصنعة والتصنع، صدام حسين محمود عمر، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، فلسطين، نابلس، ٢٠٠٦م.

الدوريات:

- المقامة في الادب العربي والآداب العالمية، د. مهيمن حاجي زادة، مجلة اللغة العربية وآدابها، العدد الرابع، ٢٠٠٦م.